

تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس

إعداد الدكتور

غيثان علي جريس

الاستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية التربية - جامعة الملك سعود - فرع أبها

تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام

حتى قيام دولة بني العباس

سبب اختيار هذا الموضوع للبحث :

يرجع السبب في اختياري هذا الموضوع إلى محاولة معرفة التطور التاريخي الذي مرت به عقوبة النفي خلال صدر الإسلام وعهد دولة بني أمية ، ولأن هذه العقوبة من العقوبات الشرعية المنصوص عليها في القرآن والسنة ، فقد تحدثت عنها العديد من المصادر الشرعية والفقهية واللغوية والأدبية والتاريخية ، ولما كانت مادة البحث متناثرة في ثنايا عدد من المصادر المتنوعة فقد قمت بجمعها وتحليلها ثم أخرجتها ضمن فترة زمنية معينة ومن منظور تاريخي مع الإشارة إلى تطبيقها في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - باعتبارها حداً من حدود الله الشرعية ثم كيف توسع في استخدامها خلال العقود الأخيرة من القرن الأول للهجرة حتى صارت تنفذ على العديد من الأفراد لأسباب اجتماعية وسياسية .

وحيث إن النفي عُرف في الإسلام عقوبة شرعية فلم أتطرق له باعتباره موضوعاً فقهياً إنما درسته من منظور تاريخي مع العلم بأنني لم أغفل المصادر الشرعية والفقهية ، وإنما عدت إليها لكي تساعدني على إخراج البحث في شكله العلمي الواضح .

تعريف النفي :

النفي لغة الطرد والإبعاد^(١) ، واصطلاحاً إخراج المفسدين في الأرض من أوطانهم ،

(١) أوردت المعاجم اللغوية العديد من التعريفات لكلمة « نفي » ومن أشمل تلك التعريفات : الطرد أو الإبعاد .

انظر : جمال الدين محمد بن منظور . لسان العرب . طبعة مصورة من مطبعة بولاق (القاهرة : دار مصر للتأليف

والترجمة . د . ت .) ، مج ٢ ، ص ٢١٠ - ٢١٢ ، محمد مرتضى الزبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس .

(بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت .) ، مج ١ ، ص ٣٧٤ .

أو من الأماكن التي يعملون فيها الأعمال المنكرة : من فساد، وضلال، وأعمال غير أخلاقية^(١).

النفي في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وقد نصت الآية الكريمة بوضوح على نفي وإبعاد من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢).

وفي حديث ذكره أبو داود عن عائشة رضي الله عنها عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : رجل زنى بعد إحصانه فإنه يرجم، ورجل خرج محارباً لله ورسوله فإنه يقتل أو يصلب، أو يُنفي من الأرض، أو يقتل نفساً فيقتل »^(٣).

ومما يتضح من الآية والحديث المشار إليهما أن من حارب الله ورسوله قد يطبق عليه عقوبة الصلب أو القتل أو النفي، وسبب نزول الآية السابقة الذكر، كما أجمع عليه جمهور العلماء، هو أن قوماً من عكل : إحدى القبائل العربية المشهورة جاءوا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم في المدينة - وأعلنوا إسلامهم ثم أصابهم مرض فأخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن يلحقوا براعي إبله في البراري المحيطة بالمدينة حتى يشربوا من أبوال وألبان الإبل ليشفوا ففعلوا ذلك وعندما لحقوا بالراعي

(٢) يظهر عند المفسرين والفقهاء أن المفسدين في الأرض أو من تجب عليهم عقوبة النفي يُبعدون عن الأمصار التي يعيشون فيها أو عن البلدان التي نشروا فيها الفساد. انظر تفصيلاً أكثر. موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة. المغني (بيروت : دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) مج ١٠، ص ٣٠٧ - ٣٠٩، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة النشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) مج ٦، ص ١٤٧ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة، آية / ٣٣.

(٤) سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود. صحيح سنن المصطفى (القاهرة : المطبعة التجارية. د. ت.) مج ٢، ص ٢١٩.

صحت أجسامهم فقتلوا الراعي وساقوا الإبل راجعين إلى أوطانهم، وعندما جاء خبرهم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسل وراءهم من يأتي بهم، فنزلت الآية^(٥). وعقوبة النفي كما جاء في الآية والحديث إحدى العقوبات التي تطبق على الضالين المضلين الذين يسعون في الأرض فساداً ويحاربون الله ورسوله .

وفي آية أخرى من القرآن الكريم ومواضع في أماكن عديدة من كتب السنة ذكرت عقوبة النفي على الزانية البكر، قال الله تعالى :

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(٦)

والقول عند المفسرين في « يجعل الله لهن سبيلاً » أي الجلد مائة سوط ثم النفي لمدة عام واحد^(٧)، وفي حديث لعبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : « كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتريد وجهه، فأنزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سُرِّي عنه قال : خذوا عني، خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام . . . »^(٨).

(٥) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري . صحيح البخاري (القاهرة : دار مطابع الشعب ، د . ت .) مج ٢ ، ج ٦ ، ص ٦٥ - ٦٦ ، مج ٣ ، ج ٨ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مج ٦ ، ص ١٤٨ .

(٦) سورة النساء ، آية / ١٥ .

(٧) انظر الحافظ عماد الدين ابن كثير . تفسير القرآن الكريم . تحقيق لجنة من العلماء ، ط ٢ (بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) مج ٢ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مج ٥ ، ص ٨٥ . ويذكرون أن عقوبة الزنا في صدر الإسلام أن تعاقب المرأة بالحبس في البيت وعدم الإذن لها بالخروج منه، وعقوبة الرجل بالتأنيب والتوبيخ بالقول والكلام، وهذا العمل كان قبل نزول حد الزنا في سورة النور، قال الله تعالى : «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» . انظر محمد علي الصابوني . روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن . ط ٣ ، (بيروت ودمشق : مؤسسة مناهل العرفان ومكتبة الغزالي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٢م) مج ٢ ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ، انظر أيضاً . محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه . سنن المصطفى ، ط ٢ (بيروت : دار الفكر ، د . ت .) مج ٢ ، ص ١١٤ - ١١٥ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مج ٥ ، ص ٨٥ .

وبهذا فجلد الزاني والزانية البكر لا خلاف فيه عند أهل العلم، كما ورد في القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾^(٩)

وجاءت الأحاديث موافقة لما جاء في القرآن الكريم^(١٠)، أما النفي فقد اختلف الفقهاء في القول به للبكر من الرجال فذكر الإمام أبو حنيفة أن حد الزاني البكر هو الجلد مائة جلدة، أما النفي فليس من الحد في شيء وإنما هو عائد إلى رأي الإمام إن شاء نفاه وإن شاء تركه، أما مالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل فقد أجمعوا على جلده مائة جلدة والنفي لمدة عام^(١١). أما نفي الزانية الأنثى ففيه خلاف أيضاً، ذكر مالك بن أنس والأوزاعي بأن النفي خاص بالرجل فقط، أما المرأة فتحْتَاج إلى حفظ وصيانة، كما أنه لا يجوز نفيها أو حتى سفرها إلا بمحرم، وقد أخذوا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم » ولهذا فتغريبها ربما يقودها إلى الفجور والضياع، أما الشافعي وأحمد بن حنبل فقد ذكرا أن النفي للزاني البكر ينطبق على المرأة والرجل، على حد سواء، واستدلوا على قولهما بحديث عبادة بن الصامت « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام... »^(١٢).

وقد أشارت بعض كتب السنن إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حكم على من ثبت عليه جريمة الزنا وهو عزب فجلده مائة جلدة ثم نفاه لمدة عام^(١٣)، كما أورد

(٩) سورة النور، آية ٢ / .

(١٠) انظر : محمد بن علي بن محمد الشوكاني . نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار (بيروت : دار الجبل ،

١٩٧٣م) مج ٧ ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

(١١) ابن قدامة . المغني ، مج ١٠ ، ص ١٢٩ - ١٣١ ، الصابوني . روائع البيان ، مج ٢ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(١٢) انظر : ابن ماجه ، سنن المصطفى ، مج ٢ ، ص ١١٤ - ١١٥ ، أبو داود ، صحيح سنن المصطفى ، مج ٢ ،

ص ٢٢٩ . ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي . الأحكام السلطانية والولايات الدينية . (القاهرة : مطبعة

عيسى الحلبي ، ١٣٩٨هـ) ص ٢١٥ ، ابن قدامة . المغني ، مج ١٠ ، ص ١٣٠ - ١٣٣ ، الصابوني . روائع

البيان ، مج ٢ ، ص ٢٩ .

(١٣) انظر : البخاري ، صحيح ، مج ٣ ، ج ٨ ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، مالك بن أنس ، موطأ الإمام مالك ، رواية

يحيى الليثي ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، ط ٢ (بيروت : دار النفائس ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٥٩٤ ، ابن

ماجه ، سنن ، مج ٢ ، ص ١١٤ .

ابن ماجه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أنه عاقب رجلاً في المدينة كان قد قتل عبده عمداً فجلبه مائة جلده ونفاه سنة وأسقط سهمه من المسلمين^(١٤)، ويذكر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه هدد بعض المفسدين في المدينة بالنفي إذا استمروا يمارسون أساليب غير خلقية في المجتمع ، فتشير إحدى الروايات إلى حادثة حدثت لأحد المخنثين في المدينة عندما جاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستأذنه في السماح له بالغناء، وممارسة هواياته غير الأخلاقية فغضب منه الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وقال: قم عني وتب إلى الله، ثم حذره من فعل ذلك، وقال إن فعلت ذلك ضربتك ضرباً وجيعاً وحلقت رأسك، ونفيتك من المدينة، وأحللت سلبك نبهة لفتيان أهل المدينة . . .^(١٥) وفي رواية أخرى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه أمر بنفي أهل المعاصي والمخنثين. فعن ابن عباس، عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أنه قال: « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، أخرجوهم من بيوتكم وأخرجوا فلاناً، وأخرجوا فلاناً . . . »^(١٦) وفي حديث آخر عن ابن ماجه عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها فسمع مخنثاً وهو يقول لعبد الله بن أبي أمية « إن يفتح الله الطائف غداً دلتك على امرأة تقبل بأربع وتدبر بثمان » فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - « أخرجوهم من بيوتكم، ويقصد ذلك المخنث وأشباهه »^(١٧).

وهذه الحادثة التي أشارت إليها أم سلمة وقعت بدون شك بعد فتح مكة، وبالتحديد في أثناء حصار المسلمين للطائف حيث تذكر بعض المصادر تفصيلاً أكثر فذكر بعضها اسم ذاك المخنث « مائع » وكان مولى لحالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - « فاخته »، وكان يسعى إلى ترقيع عورات النساء ووصف مفاتهن للرجال، حتى كان يوم حصار الطائف قد رأى بادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، ثم جاء إلى عبدالله بن أبي أمية القرشي يصفها له، بل ويحثه أن يسأل النبي فيها إن فتح الله على

(١٤) ابن ماجه، سنن، مج ٢، ص ١٤٦ وما بعدها .

(١٥) المصدر نفسه، مج ٢، ص ١٣٢-١٣٣ .

(١٦) البخاري، صحيح، مج ٧، ج ٨، ص ٢١٢ .

(١٧) ابن ماجه، سنن، مج ٢، ص ١٣٣ .

المسلمين الطائفت عندئذ عرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - خطورة ذلك المولى، فقال: « لا يدخلن على نساء عبد المطلب » وفي رواية أخرى « لا يدخلن على أحد من نسائكم » ثم أمر بإخراجه ونفيه إلى أرض الحمى من المدينة^(١٨).

ويظهر أن نفي هذا المولى من قبل الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان ناتجاً عن كونه قد ارتكب منكراً، حيث استغل فرصة منزلته خادماً أو مولى يعمل في مجتمع الرجال والنساء على حد سواء، وعندئذ كان باستطاعته اكتشاف عورات النساء ومفاتنهن، ونقل ما يدور بينهن إلى الرجال، لهذا فلم يتهاون الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن معاقبة ماته ونفيه إلى أرض الحمى بالمدينة ليكون بعيداً عن ممارسة عادته القبيحة، وبالتالي ليقضي على المنكر والفساد الذي كان ينشره، ثم ليكون عبرة لمن يجذو حذوه ويسلك نفس السلوك الذي كان يسلكه ماته .

وإذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد نقل أناساً كانوا يسعون إلى محاربة الله ورسوله ونشر الفساد وإتيان المنكر، فهو، كما أشارت بعض المصادر التاريخية قد نفى آخرين في مخالفات أخرى تنحصر بين تهمة الاستهزاء والمجاهرة بالعداوة للرسول والرسالة التي جاء بها^(١٩)، ومن الذين أشارت إليهم الروايات الحكم بن أبي العاص بن أمية الذي نفاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى الطائف بسبب مجاهرته بالإيذاء والاستهزاء برسول الله - صلى الله عليه وسلم -^(٢٠)، ويذكر أن الحكم

(١٨) انظر معلومات أكثر عن نفي ماته ومولى آخر يدعى هيت. محمد بن عمر الواقدي.

كتاب المغازي. تحقيق مارسدن جونسون، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) مج ٣. ص ٩٣٣ - ٩٣٤، أبو الفرج الأصفهاني. كتاب الأغاني. تصوير بالأوفست عن مطبعة بولاق (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) مج ٢، ص ١٧٢، ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣٢٨هـ) مج ٣، ص ٣٣٦، ٦١٤ - ٦١٥ .

(١٩) عندما ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قاومه عدد من طغاة قريش، فمنهم من كان يسعى إلى الاستهزاء به وبما جاء وآخرون كانوا يسعون إلى إيذاء الرسول والمجاهرة بعداوته. انظر: تفصيلات أكثر أبو محمد عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مكان وسنة النشر بدون) مج ١، ج ١ ص ٢٨٩ وما بعدها، صفى الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم، ط ٢. (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ص ٨٠ وما بعدها.

(٢٠) انظر: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري. أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة: مكان النشر بدون، ١٩٥٩م) مج ١، ص ١٥١، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي (بيروت،

ظل في منفاه إلى أن توفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم رُجع فيه كل من الخليفين أبي بكر الصديق (١١هـ/٦٣٢م - ١٣هـ/٦٣٤م) وعمر بن الخطاب (١٣هـ/٦٣٤م - ٢٣هـ/٦٤٣م) على أن يسمح له بالخروج من منفاه في الطائف إلا أنها لم يأبها لتلك المراجعة وأمضيا حكم الرسول فيه، فلما تولى الخلافة عثمان بن عفان (٢٤هـ/٦٤٤م - ٣٦هـ/٦٥٦م) سمح له بالخروج من الطائف إلى المدينة^(٢١). وقد أشار ابن تيمية إلى نفي الحكم فقال: « وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه وقالوا هو ذهب باختياره، وقصة النفي ليست في الصحاح ولا لها إسناد يعرف به أمرها »^(٢٢) ثم ذكر في موضع آخر أن بعض الناس أشار إلى هذا النفي إلا أنهم « لم يذكروا إسناداً صحيحاً بكيفية القصة وسببها »^(٢٣)، وروايات أخرى لم تنكر نفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - للحكم بن أبي العاص إلا أنها قالت إن رد الخليفة عثمان بن عفان للحكم من الطائف إلى المدينة والسماح له بالخروج تم بناء على وعد قطعه النبي - صلى الله عليه وسلم - لعثمان قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى^(٢٤).

١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) مج ٢، ص ٢٤، أبو هلال العسكري كتاب الأوائل، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب (دمشق، ١٩٧٥م) مج ١، ص ٢٦٨ - ٢٦٩، الأصفهاني، الأغاني، مج ١٦، ص ٩١، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس (بيروت، ١٩٦٩م) مج ٢، ص ٢٦٦.

(٢١) عبدالله بن مسلم ابن قتيبة. المعارف، تحقيق ثروة عكاشه، ط ٢ (القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) ص ٣٥٣، عبدالله بن سليمان الياغبي. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تصوير بالأوفست عن طبعة القاهرة، ١٣٣٧هـ (بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) مج ١، ص ٨٥، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج ٢، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ الحافظ عماد الدين بن كثير البداية والنهاية، ط ٤ (بيروت، ١٩٨١م) مج ٧، ص ١٧١، محمد بن علي بن طباطبا الطقطقي الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ص ١١٩.

(٢٢) تقي الدين أحمد بن تيمية. منهاج السنة النبوية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٢١هـ) مج ٣، ص ١٩٦.

(٢٣) المصدر نفسه مج ٣، ص ٢٣٥.

(٢٤) القاضي أبوبكر العربي. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة، ١٣٧١هـ) ص ٧٦ - ٧٧، ابن الطقطقي، الفخري، ص ١١٩. يقول ابن العربي «وأما رد الحكم فلم يصح، وقال علماؤنا في جوابه: قد كان أذن له فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال، أي عثمان، لأبي بكر وعمر فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه، فلما وُلِّيَ قضى بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو كان أباه ولا لينقض حكمه» انظر العواصم من القواصم، ص ٧٧.

النفي في عهد الخلفاء الراشدين :

وفي عصر الخلفاء الراشدين (١١/٦٣٢ - ٤٠/٦٦٠م) استمرت عقوبة النفي من قبل الخلفاء، اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، الذي كان قد أرسى قواعدها فصارت حداً من حدود الإسلام. يروي لنا الإمام مالك في موطنه أنه جيء برجل إلى الخليفة أبي بكر الصديق وكان قد وقع على جارية بكر، وكان هو بكرًا أيضاً، فحملت منه، واعترف بجريمته للخليفة، فأمر الخليفة بجلده مائة جلدة، ثم نفيه إلى أرض فدك^(٢٥)، والخليفة الصديق بعمله هذا طبق نص الحديث الشريف على جلد ونفي من يقع في الزنا وهو بكر^(٢٦)، وفي مصدر آخر يذكر أن الخليفة أبابكر الصديق قد أمر بنفي جماعة من الأعراب إلى ميناء عيذاب^(٢٧)، غير أن المصادر لم تفصح عن سبب ذلك النفي، ولكن لا يستبعد أن يكونوا قد سعوا إلى الفساد في الأرض وفعل ما يخالف الشريعة الإسلامية، خصوصاً أن عهد الخليفة الصديق كان مليئاً بالاضطرابات السياسية، كحروب الردة وغيرها^(٢٨).

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب يذكر البخاري ومالك بن أنس، أن عبداً من عبيد الإمارة اغتصب جارية وافترض بكارتها فطبق عمر بن الخطاب عليه الحد ونفاه^(٢٩)، ويعد عمل الخليفة عمر تأكيداً لما فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

أيضاً انظر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. الكامل في اللغة والأدب. تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، مكان النشر والتاريخ بدون) مج ٣، ص ٢٨٠، العسكري، كتاب الأوائل، مج ١، ص ٢٦٩.

(٢٥) مالك بن أنس، الموطأ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤، فدك قرية بالحجاز وإلى الشمال من المدينة، بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة مشياً على الأقدام أو ركوباً على الدواب، انظر شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان (بيروت : دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، مج ٤، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢٦) البخاري، صحيح، مج ٣، ج ٨، ص ٢١١ - ٢١٢، ابن ماجه، سنن، مج ٢، ص ١١٤ وما بعدها.

(٢٧) عيذاب بلدة على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقوم من عدن وغيرها من الموانئ في بلاد العالم الإسلامي، انظر تفصيلاً أكثر عنها. ياقوت، معجم، مج ٤ ص ١٧١، بشير إبراهيم بشير «عيذاب» مجلة الدراسات السودانية مج ٥، عدد ٢ (يوليو، ١٩٧٩م)، ص ٥٤ - ٨٤.

(٢٨) انظر : يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان : (الخرطوم : دار التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٥م) مج ١، ص ٢٩.

(٢٩) البخاري، صحيح، مج ٧، ج ٩، ص ٢٧، مالك بن أنس، الموطأ، ص ٥٩٤.

وأبو بكر الصديق من قبله ، علماً بأن المصادر لم تشر إلى المكان الذي تم نفي العبد إليه ، ومن المحتمل أن لا يكون بعيداً عن المناطق القريبة من المدينة كأرض الحمى وفدك والتي نفى إليهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخليفة الصديق بعض الأشخاص من قبل .

وإلى جانب ما ذكره هناك حالات نفى طبقها الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد أورد لنا الطبري رواية عن أبي محجن الثقفي الذي كان يشرب الخمر ويتغنى بها في شعره أنه عوقب مراراً على شربه ، حتى كان من بين العقوبات التي عاقبه بها الخليفة عمر أن نفاه إلى ميناء باضع على الساحل الغربي للبحر الأحمر^(٣٠) ، كذلك أمر الخليفة عمر بن الخطاب بنفي نصر بن حجاج بن علاط السلمي ، الذي أسهت المصادر في حادثة نفيه^(٣١) ، فيذكر عنه أن امرأة من أهل المدينة حبته حباً شديداً ، وذلك لما كان يتصف به من جمال بارع ، وفي ذات ليلة مر عمر بن الخطاب بجوار دار تلك المرأة فسمع صوتها وهي تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج^(٣٢)

فلما جاء الصباح أمر الخليفة عمر بن الخطاب بإحضار نصر بن حجاج الذي كان يقطن بضواحي المدينة ، وعندما جيء به ورآه بهرته جماله ، عندها قال له : «أأنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن؟ . . . فأمر الخليفة أن يطمس بعض معالم جماله ، فدعي بحجام وأمره بأن يخلق رأسه ، ثم تأمله فإذا به يزداد جمالاً على جماله ، فقال الخليفة : والله لا تساكني ببلدة أنا بها . . . » ثم أمر بنفيه إلى مدينة البصرة ، فلم يقم

(٣٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢/١٩٦٢م) ، مج ٤ ، ص ٢٨ ، انظر : تفصيلات أكثر عن شخصية أبو محجن في الطبري ، تاريخ ، مج ٣ ، ص ٥٤٧ - ٥٥٠ .

(٣١) انظر : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) مج ٤ ، ص ٢٣ - ٢٤ ، الأصفهاني ، الأغاني مج ٧ ، ص ١٣١ ، عبد الوهاب بن علي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود السطناعي وعبد الفتاح الحلو (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) ، مج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ .

(٣٢) السبكي ، طبقات مج ١ ص ٢٨٠ .

بها طويلاً ، لأن بعض الروايات تذكر أنه ظهر من افتنن بجماله من نساء البصرة ، فسيره أبو موسى الأشعري ، إلى بلاد فارس حيث بقي فيها حتى مات (٣٣) .

وأمام حادثة نفي نصر بن حجاج نفق قليلاً لنرى حرص عمر بن الخطاب على عدم انتشار بعض المفاسد في مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ناهيك على أنها كانت عاصمة الدولة الإسلامية ، ومقر المهاجرين والأنصار ، لهذا لم يكن يسمح لنصر بن حجاج بالبقاء فيها ، حتى لا يفتتن بجماله نساء المدينة وتشيع الفاحشة ، وينتشر المنكر ، علماً بأن الخليفة نفسه لم يكن يجهل أن نصراً سوف يذهب إلى مدينة البصرة التي هي جزء من الدولة الإسلامية ، ولكنه ربما فكر بإبعاده عن مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وذهابه إلى مكان جديد فقد لا تشيع الفاحشة ولا يفتتن بجماله كما حدث في المدينة ، ولكن مع هذا فقد ظهر في البصرة من افتنن به عندها نفي مرة ثانية إلى بلاد فارس .

ويظهر أن عقوبة النفي طراً عليها نوع من التغيير بحيث صار الولاة ينفذون عملية النفي كما فعل أبو موسى الأشعري .

ويذكر ابن حجر قصة نفي أخرى لرجل من بني سليم يدعى جعدة السلمي كان يقيم في المدينة ، ويتربص بنساء أهل المدينة ويسعى إلى نشر المفاسد غير الأخلاقية ، فرفع أمره إلى الخليفة عمر فأمر بإحضاره ، فجلبه ، ثم نفاه إلى أرض عمان (٣٤) .

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان استمرت عقوبة النفي تُنفذ من قبل الخليفة وبعض ولاته في الولايات الإسلامية ، فقد أشارت المصادر إلى قصة نفي عبدالله بن سبأ (٣٥) الذي حارب الله وسعى في الأرض بالفساد ، فجاهر ببذعته ومذهبه

(٣٣) السبكي ، طبقات ، مج ١ ص ٢٨١ وما بعدها .

(٣٤) المسقلاني ، الإصابة ، مج ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(٣٥) عبدالله بن سبأ رأس الطائفة السبئية التي كانت تدعو إلى ألوهية علي بن أبي طالب ، أصله من اليمن ، وهو يهودي ، أظهر إسلامه ، ثم صار ينتقل في ولايات الدولة الإسلامية وينشر آراءه ويدعه ضد الإسلام وولاة الأمر فيه ، عن ابن سبأ والطائفة السبئية انظر : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة : ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م) ، مج ٢ ، ص ٤٢٦ ؛ عبدالقادر بن طاهر

الذي ينفي رجعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الدار الآخرة، كما كان يسعى إلى الاجتماع بالرجال في كل من البصرة والكوفة بالعراق فيث فيهم آراءه ويحرضهم على الثورة على الخليفة عثمان بن عفان وولاته في الأقاليم، وعندما انكشف أمره لدى عامل الخليفة عثمان في البصرة، عبدالله بن عامر، قام بنفيه من البصرة إلى الكوفة ثم نفي بعد ذلك من الكوفة إلى مصر^(٣٦).

ولهذا فابن سبأ لم يكن في مستوى من سبقه من المنفيين في عهد عمر بن الخطاب أو غيره وإنما خطورته أدهى وأمر فقد انتهاز فرصة الاضطرابات السياسية التي حدثت في النصف الثاني من عهد الخليفة عثمان بن عفان فصار يسعى إلى إثارة البلبلة والفتن ضد خليفة المسلمين، بل وينادي ببداع ومذاهب ليست من الإسلام في شيء، لذلك كان على الخليفة وولاته محاربة من يحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض بالفساد.

وبعد ذلك أخذت عقوبة النفي في الاتساع لتشمل أناساً لم يكونوا قد خرجوا على الدين كما فعل ابن سبأ، وإنما لاحتجاجهم على سياسة الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه الذي اهتمت بعض المصادر التاريخية بمحabbاته الأقارب وإيثار أهله وعشيرته. وكان من بين أولئك عبدالرحمن بن حنبل الجمحي الذي قيل إنه ضم صوته إلى أصوات الذين اتهموا عثمان ونقموا عليه إغداق الأموال على بني أمية والادعاء بأنه أوى الحكم بن أبي العاص، وقد أشارت بعض الروايات إلى أن ابن حنبل انتقد الخليفة عثمان بن عفان في هيئة هجاء شعري، فعاقبه الخليفة بالنفي إلى أرض خيبر^(٣٧).

البغدادى. الفرق بين الفرق. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، الناشر والتاريخ بدون) ص ٢٣٣

- ٢٣٥؛ علي أحمد بن سعيد بن حزم. الفصل في الملل والنحل. (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٢١هـ) مج ١،

ص ١٧٤، خير الدين الزركلي. الأعلام، قاموس تراجم، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)

مج ٤، ص ٨٨.

(٣٦) الواقدي، المغازي مج ٣، ص ١٠٠٠، ابن العربي، العواصم، ص ٧٤، الطبري، تاريخ، مج ٤،

ص ٢٨٣ - ٢٨٥، ٣٠٨ وما بعدها.

(٣٧) انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٥، أحمد بن محمد بن عبد ربه. العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين،

(القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) مج ٤، ص ٨٤ وما بعدها، ومن الشعر الذي قاله ابن حنبل في الخليفة عثمان:

لكن خلقت لنا فتنة لكي نبتي بك أو تبتي
دعوه الطريد فأدنيته خلافاً لما سنه المصطفى

وفي عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (٦٥٦/٣٦ - ٦٦٠/٤٠) رجع عبدالله بن سبأ، من مصر إلى الكوفة، ونادى بتقديس علي بن أبي طالب، قائلاً «أنت خلقت الأرض، وبسطت الرزق...». فغضب الخليفة من هذا القول، وعزم على قتله، لكن بعض أصحابه أشاروا عليه بأن لا يفعل ذلك لأنه قد يثير أعوان ابن سبأ ضده لهذا أمر بنفيه من الكوفة إلى المدائن ببلاد فارس^(٣٨).

النفي في عهد الدولة الأموية :

وبانتهاء عهد الخلفاء الراشدين، وقيام الدولة الأموية (٦٦٠/٤٠ - ١٣٢ / ٧٤٩م) تكررت عقوبة النفي خلال عصر بني أمية، فصارت عملاً متعارفاً عليه، وأصبحت ممارستها أمراً مسلماً به كغيرها من العقوبات وأصبحت تطبق على الأفراد والجماعات على حد سواء، يروى أن والي العراق، زياد بن أبيه، نفي أيام معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ/٦٦١ - ٦٠هـ/٦٧٩م) جماعة من الأزديين منهموا بالتعاطف مع الخوارج من العراق إلى مصر^(٣٩). وعمل ابن زياد، عبيدالله، الذي كان والياً على العراق في عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠/٧٦٩ - ٦٤/٦٨٣م) بنفي جماعة من أنصار الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أنحاء مختلفة من دولة الإسلام، كالشام، ومصر وأفريقية، والحجاز^(٤٠).

ومال أنك به الأشعري من الفياء أعطيته من دنا
العسقلاني، الإصباية، مج ٢، ص ٣٩٥، وما بعدها. وفي رواية أن عثمان بن عفان أمر بعبد الرحمن بن حنبل أن يسجن في منفاه بخير فسجن في حصن لليهود هناك يسمى الغموض، فكان يشكو ما يعانيه في ذلك السجن فقال :

إلى الله أشكوا إلى الناس ما عدا أبا حسن غلا شديدا أكابده
بخير في قعر الغموض كأنها جوانب قبر عمق اللحد لاحده
ويذكر أن علي بن أبي طالب تحدث مع الخليفة عثمان في أمر عبد الرحمن بن حنبل فعفا عنه ورده من منفاه.
العسقلاني، الإصباية، مج ٢، ص ٣٩٥ وما بعدها.

(٣٨) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣ وما بعدها، ابن حزم، الملل والنحل، مج ١ ص ١٧٤، ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢.

(٣٩) أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة : دار النشر غير معروفة، ١٢٧هـ) مج ٢، ص ٧٨.

(٤٠) علي بن الحسن بن عساكر، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عبدالقادر بدران، (بيروت : دار النشر غير معروفة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، مج ٢، ص ١٣١.

كما أطنبت المصادر في حادثة نفي الشاعر الملقب بالأحوص^(٤١) إلى جزيرة دهلك^(٤٢) فتذكر إحدى الروايات أن المنفذ لعملية النفي هو الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ/٧٠٥م - ٩٦هـ/٧١٤م) حيث أرسل إلى واليه في المدينة المنورة يأمره بنفي الشاعر الأحوص^(٤٣). وفي رواية أخرى أن الذي أمر بنفيه هو الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ/٧١٤م - ٩٩هـ/٧١٧م) وليس الوليد^(٤٤)، لكن ابن قتيبة يخالف الروایتين السابقتين مشيراً إلى أن الذي أمر بنفي الأحوص هو الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ/٧١٧م - ١٠١هـ/٧١٩م)^(٤٥) وفي رواية رابعة تخالف كل الروايات السابقة أن الذي نفى الأحوص هو أمير المدينة أبوبكر محمد بن عمر بن حزم^(٤٦) لكن لا ندري هل نفاه بمحض إرادته أم بأمر من سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز، ولكن ليس ببعيد أنه قد نفاه الأمير بأمر أحد الخليفين، لأن مما عرف عن الأحوص أنه كان شاعراً هجاء، كم يروى عنه أنه يتشبه بنساء المدينة في شعره ويسعى إلى نشر الفساد بين بعض الفئات في المدينة فبمجرد معرفة أحد ذينك الخليفين لم يتورع عن معاقبته وربما نفيه، مع العلم بأنه إذا كان ابن حزم نفاه دون

(٤١) الأحوص لقب به الشاعر، واسمه الحقيقي عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم، كان جده عاصم بن ثابت من الصحابة الأنصار، قتل في غزوة الربيع، انظر: الأصفهاني، الأغاني، مج ٤، ص ٤٠ وما بعدها، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق دي غوي (لیدن: مطبعة بريل، ١٩٠٤م) ص ٣٢٩-٣٣١، الزركلي، الأعلام مج ٤، ص ١١٦.

(٤٢) دهلك جزيرة في بحر اليمن وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة وأرضها ضيقة حارة، وغير صالحة للسكن. ياقوت معجم، مج ٢، ص ٤٩٢-٤٩٣.

(٤٣) انظر علي بن الحسين الشريف المرتضى. أمالى المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (بيروت، ١٩٦٧م) مج ٢، ص ٦٥، الأصفهاني، الأغاني، مج ٤، ص ٤٥.

(٤٤) الأصفهاني، الأغاني، مج ٤، ص ٤٨، عبدالقاهر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، ١٩٦٨م) مج ٢، ص ١٦ وما بعدها.

(٤٥) عبدالله بن مسلم بن قتيبة. الشعر والشعراء. تحقيق إم. ي. دي غوي (لیدن، ١٩٠٤م) ص ٣٣٠.

(٤٦) أبوبكر محمد بن عمر بن حزم الأنصاري، كان من أفضل الناس علماً وديناً وشرفاً، تولى إمارة المدينة المنورة لكل من الخليفين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز. انظر: ترجمته محمد بن سعد. الطبقات الكبرى. تحقيق زياد محمد منصور (المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) مج ٥ ص ١٢٤-١٢٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٤، ص ١٣٨، ١٥٤. انظر: تفصيلاً أكثر الأصفهاني، الأغاني، مج ٢، ص ١٧.

أن يرجع إلى رأي الخليفة فلا تثريب عليه لأن هذا واجبه باغتباره وإلى المدينة ثم إن عمله يدخل في باب القضاء على المنكر إذا ظهر^(٤٧).

ووقعت حادثة نفي أخرى في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، حيث أمر بنفي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، زعيم الأزد، إلى جزيرة دهلك، بسبب رفضه تأدية أموال كان قد أخذها من بيت المال، لكن عندما أصدر الخليفة قرار نفيه، أخذ يزيد يصبح لخوفه من النفي إلى دهلك وصار يهدد بعشيرته، وخوفاً من أن تتحقق تهديداته فتثور قبيلته، أشار بعض مقربي الخليفة على عمر بمراجعة قراره، فأمر بإعادته إلى السجن وأُقلع عن نفيه^(٤٨).

لم تكن تتوقف عقوبة النفي في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز وإنما يذكر عن الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٢٣/١٠٥ - ٧٤٢/١٢٥ م) أنه أمر بنفي جماعة من المعتزلة إلى جزيرة دهلك، أيضاً أمر واليه أسد بن عبدالله القسري بنفي جماعة من أعيان رجال القبائل العربية في خراسان إلى بلاد العراق، لما كانوا يقومون به من استهزاء وسخرية تجاهه هو وبعض رجاله في خراسان^(٤٩).

ولم تتوقف عقوبة النفي بانتهاء الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، وإنما استمرت خلال القرون التالية التي تلت سقوط الدولة الأموية، فتذكر المصادر والمراجع وقوع بعض حالات نفي لبعض الأفراد، في عهدي أبي جعفر المنصور (٧٥٣/١٣٦ - ٧٧٤/١٥٨ م)، وهارون الرشيد (٧٨٦/١٧٠ - ٨٠٨/١٩٣ م)، إلى

(٤٧) فيما يذكر عن الأحوص أنه كان شاعراً سليط اللسان، كما كان يسعى إلى مراودة الغلمان والتشبيب بنساء بعض أهل المدينة. انظر: الأصفهاني، الأغاني مج ٤ ص ٤٣ وما بعدها، البغدادي، خزانة الأدب، مج ٢، ص ١٨ وما بعدها.

(٤٨) الطبري، تاريخ، مج ٦، ص ٥٦٤، يزيد بن المهلب من أقوى رجالات العرب في الشجاعة والبسالة، وهو يتنسب إلى القبائل الأزدية، يذكر أنه لما أُخرج به على الناس يراد إرساله إلى المنفى، وكان مكبلاً بالحديد - أخذ يصبح ويقول: «مالي عشرة؟ مالي يُذهب بي إلى دهلك؟ إنما يُذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب...؟» انظر: الطبري، تاريخ، مج ٦، ص ٥٦٤، أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان مج ٢ ص ٢٦٦، ياقوت، معجم، مج ٢، ص ٤٩٢.

(٤٩) الطبري، تاريخ، مج ٧، ص ٤٧ - ٤٨، مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧١ م) ص ١٣٢.

جزيرة دهلك، وعيذاب، وباضع، وهذا يعطينا انطباعاً باستمرار واستخدام هذه المراكز لتكون مواقع نفى في عهد خلفاء بني العباس الأوائل^(٥٠).

الأماكن المختارة للمنفين :

أما من حيث اختيار الأماكن لتكون دار نفى لمن يراد نفيه، فلم يتضح لنا أنه كان هناك منطقة معينة في عهدي الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين متعارف عليها لينفى إليها من يراد معاقبته بالنفي، والدليل على ذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفى الحكم بن أبي العاص إلى الطائف و«ماتع» إلى أرض الحمى حول المدينة، في حين أن الخلفاء الراشدين قاموا بنفي العديد من الأشخاص إلى أماكن متفرقة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، وهذا التعدد في أماكن النفي خصوصاً في عهد الخلفاء الراشدين، ربما يكون قد تأثر بالمساحة الجغرافية التي صارت تحت حكم الخلافة الإسلامية، حيث امتدت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والشام، وشمال أفريقيا، فصار لديهم أماكن عديدة يستطيع الخليفة أن يختار منها المكان الذي يناسبه لينفى إليها من يريد أن تطبق عليه عقوبة النفي ولهذا فالعامل الجغرافي كان من الأسباب المؤثرة في تعدد أماكن النفي.

وفي عهد الدولة الأموية اتسعت رقعة العالم الإسلامي واستمر الخلفاء والأمراء في ذلك العهد يطبقون عقوبة النفي لأسباب سياسية وغير سياسية، بل تعددت مراكز النفي أيضاً لكن يبدو أنه قد ظهر هناك نوع من التفكير والتأني في اختيار بعض الأماكن التي يُنفي إليها، ومن أهم المراكز التي فضل اختيارها في ذلك العصر، جزيرة دهلك التي نفى إليها عدد من الرجال، وفيما يبدو أن هذه المنطقة لم يتم اختيارها من قبل خلفاء بني أمية اعتباطاً، وإنما اختاروها لموقعها السيئ، والنكاية والإذلال بمن يراد نفيه إليها^(٥١)، ومما يجعلنا ندلي بهذا الرأي هو ما ذكرته بعض المصادر عن وصف

(٥٠) انظر : مصادر أشارت إلى بعض الحالات التي تم نفيها في عهدي الخلفيتين المنصور والرشد خلال العصر العباسي الأول، وكانت دهلك وعيذاب وباضع من المراكز التي تم اختيارها لنفي تلك الحالات. الطبري، تاريخ، مج ٧، ص ٥٠٩، محمد بن يوسف الكندي، الولاء وكتاب القضاء، تحقيق . غيستن (لیدن : مطبعة بريل، ١٩١٢م) ص ٥٠٣، بشير إبراهيم « عيذاب »، ص ٧٣ - ٧٥.

(٥١) إن النفي أو الإبعاد من البلد الذي كان يعيش فيه المنفي أو المطرود لا شك أنه أمر صعب على النفس، مهما

تلك الجزيرة، حيث وصفتها بأنها أرض ضيقة شديدة الحرارة، إلى جانب سوء الحياة وضيق العيش بها^(٥٢)، ومما يؤكد صدق ما ذهبنا إليه، ما ذكر لنا عن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، عندما علم بأن الخليفة عمر بن عبدالعزيز أصدر قراراً بنفيه إلى أرض دهلك، أصيب بالذهول وقام يصيح مالي يُذهب بي إلى دهلك، إنما يُذهب إلى دهلك بالفاسق المريب الخارب^(٥٣) . . . ، وهذا القول والاضطراب من يزيد يصور لنا بأن أرض دهلك تعد من أقصى أماكن النفي، ولا ينفي إليها إلا الفساق والمجرمين لعظم جرمهم.

المدة الزمنية لعقوبة النفي :

أما المدة الزمنية لعقوبة النفي، فإن المصادر لا تشير صراحة إلا إلى مرتكبي الزنا من العزاب حيث يتم جلدهم، ثم ينفي الواحد منهم لمدة عام، وهذا ما عمل به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخليفان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، أما ما سوى ذلك، فلم توضح الروايات مدة نفي معلومة لمن طبق عليه عقوبة النفي في صدر الإسلام وعهد الدولة الأموية، علماً بأن بعض المصادر أشارت إلى نفي متاع إلى أرض الحمى، فلم يكن نفيه مقيداً بزمن معلوم، وإنما بقي هناك مدة حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، مع العلم بأن هناك رواية تشير إلى أنه قد رخص له بالخروج من الحمى

كان نوع المكان الذي يذهب إليه النفي، وقد عبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك أحسن تعبير عندما أخرجه المشركون من مكة إذ روي أنه النفث إليها وقال: « أنت أحب بلاد الله إلي ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج » وهذا تعبير من الرسول يصور ما يختلج في صدر الإنسان المطرود من الأسي والحسرة وشوق إلى البلاد التي طُرد منها، وبدون شك فمراكز النفي تختلف من حيث سعة العيش وضيقه فالمدينة والطائف والبصرة وبلاد الشام ليست كأرض دهلك وغيرها من المناطق الصعبة للعيش فيها .
(٥٢) انظر الأصفهاني، الأغاني، مج ٤، ص ٤٨، وقد حفظ لنا ياقوت أبياتاً شعرية تصور سوء الحياة بدهلك فقال:

وأقيح بدهلك من بلدة فكل امرئ حلها هالك
كفأك دليلاً على أنها جحيم وخازنها مالك

ياقوت معجم، مج ٢، ص ٤٩٢ .

(٥٣) الطبري، تاريخ، مج ٦، ص ٥٦٤، ابن خلكان، وفیات الأعيان، مج ٢، ص ٢٦٦، ياقوت، معجم،

مج ٢ ص ٤٩٢ .

والذهاب إلى المدينة كل يوم جمعة لشراء ما يحتاجه من طعام وشراب ثم يعود إلى منفاه^(٥٤).

وفيما يذكر عن نفي الحكم بن أبي العاص إلى الطائف في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وبقائه في منفاه في عهدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ولما جاء الخليفة عثمان بن عفان سمح له بدخول المدينة، فحسب هذا العمل على عثمان من الأشياء التي أنكرها عليه خصومه ومعارضوه، بل وجهوا له الاتهام بإيواء طريد رسول الله، مع العلم أن بعض المصادر أشارت إلى أن بعض علماء المسلمين علقوا على سماح الخليفة عثمان بن عفان للحكم بن أبي العاص على أن يخرج من منفاه ويدخل المدينة، فذكروا أن ذلك جائز، لأن نفيه كان مجرد عقوبة مؤقتة تسقط عن صاحبها بمجرد التوبة والاعتراف بالخطأ الذي وقع فيه^(٥٥).

أما جميع الحالات التي تم نفيها في العهود التالية لعهد الخليفة عثمان بن عفان فلم تشر المصادر إلى زمن النفي لكل حالة، ولا الأسباب التي يجب توفرها في المنفي حتى يتم الإفراج عنه، وخصوصاً في العهد الأموي، فلم يثبت أن نقض أحد من خلفاء بني أمية قرارات من سبقه، فيما يتعلق بعقوبة النفي، بالرغم من وجود وساطات تهدف إلى الإفراج عن بعض المنفيين كالشاعر الأحوص، الذي سبق الإشارة إلى قصة نفيه، حيث يذكر أن بعض الأنصار في المدينة قدموا على الخليفة عمر بن عبدالعزيز يطلبون منه أن يسمح للأحوص بالرجوع من دهلك إلى المدينة، إلا أنه لم يوافق على ذلك الطلب، كما يذكر أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك فعل الشيء ذاته، عندما جاء عنده بعض الوسطاء يطلبون منه رد بعض جماعة المعتزلة الذين سبق أن نفاهم عمه هشام بن عبد الملك إلى دهلك^(٥٦).

(٥٤) اختلف فيمن سمح له بالخروج، فيذكر أنه عمر بن الخطاب، ويذكر أنه عثمان بن عفان. الأصفهانى، الأغاني، مج ٢، ص ١٧٢، العسقلاني، الإصابة، مج ٣، ص ٦١٤، والملاحظ أن هذا الإجراء ما زال ساري المفعول عند من يقترب ذنباً يتم بموجبه نفيه فيذهب باستمرار إلى دار الشرطة في المكان الذي يقيم فيه لكي يثبت وجوده بالمنفى.

(٥٥) ابن تيمية، منهاج السنة، مج ٣، ص ١٩٦، ابن العربي، العواصم، ص ٦٣ وما بعدها، ابن كثير، البداية، مج ٧، ص ١٧١.

(٥٦) انظر: ابن قتيبة، الشعر، ص ٣٣٠ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ص ١٣٢.

خلاصة البحث :

ولهذا فعقوبة النفي قد طُبقت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمرت في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد خلفاء بني أمية ومن جاء بعدهم، بل إنها تعددت الأسباب التي تؤدي إلى تنفيذ عقوبة النفي، فيها ما نص عليه القرآن، كمن حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، ومن كان يقوم بأعمال لا أخلاقية، كمرتكبي الزنا من العزاب أو المتجسسين لعورات الناس، والساعين لإيجاد الفوضى والاضطرابات السياسية في الدولة الإسلامية .

وعمليات النفي كانت تنفذ من قبل الخلفاء وأمرائهم ضد من يرتكب خطأ يستحق العقاب عليه، كما أن المراكز التي كانت معروفة للنفي لم تكن في بادئ الأمر محدودة وإنما كانت متعددة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ولكن عندما جاء خلفاء بني أمية صارت جزيرة دهلك من المراكز الهامة والأساسية التي ينفى إليها من يراد نفيه، كذلك لم يكن هناك فترة معلومة لمن يطبق عليه عقوبة النفي، إلا الذي يرتكب جريمة الزنا وهو عزب فإنه ينفى لمدة عام، أما ما عدا ذلك فلم يكن هناك مبدأ معين متعارف عليه حول مدة النفي، وإنما حسب الظروف التي قد تحيط بالنافي والمنفي .

« مصادر البحث »

- ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين . الكامل في التاريخ ، ط ٤ (بيروت : دار الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين . كتاب الأغاني ، تصوير بالأوفست عن مطبعة بولاق ، (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .
- ابن حزم ، علي أحمد بن سعيد الفصل في الملل والنحل (القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٣٢١هـ) .
- بشير ، إبراهيم بشير : «عذاب» ، مجلة الدراسات السودانية ، مج ٥ ، عدد ٢ (يوليو ١٩٧٩م) .
- البغدادي ، عبد القادر بن طاهر الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة : مكتبة الكتب الحديثة ، د . ت .) .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : دار النشر غير معروفة ، ١٩٦٨م) .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر . أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة ، مكان النشر بدون ، ١٩٥٩م) .
- ابن تيمية ، تقى الدين أحمد . منهاج السنة النبوية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٢١هـ) .
- حسن ، يوسف فضل . دراسات في تاريخ السودان (الخرطوم : دار التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٥م) .
- ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٩م) .

- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني . صحيح سنن المصطفى ، (القاهرة :
المطبعة التجارية ، د . ت .)
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي
محمد البجاوي (القاهرة ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م) .
- الراشد ، سعد . الربذة ، صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية
السعودية (الرياض : جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .
- الزبيدي ، محمد مرتضى . تاج العروس من جواهر القاموس . (بيروت :
منشورات مكتبة الحياة (د . ت .) .
- الزركلي ، خير الدين . الأعلام ، قاموس تراجم ، ط ٥ (بيروت : دار العلم
للملايين ، ١٩٨٠م) .
- السبكي ، عبد الوهاب بن علي طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود الطناحي
وعبد الفتاح الحلو ، (القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) .
- ابن سعد ، محمد . الطبقات الكبرى ، تحقيق زياد محمد منصور ، (المدينة المنورة :
مطابع الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- الشريف المرتضى ، علي بن الحسين . أمالي المرتضى . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، ط ٢ (بيروت ، ١٩٦٧م) .
- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد . نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار .
(بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٣م) .
- الصابوني ، محمد علي . روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام من القرآن .
ط ٣ (بيروت ودمشق : مؤسسة مناهل العرفان ومكتبة الغزالي ،
١٤٠١هـ / ١٩٨٢م) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) .
- الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا . الفخري في الآداب السلطانية والدول
الإسلامية (بيروت ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) .
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد . العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ،

- (القاهرة : دار النشر غير معروفة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م).
- ابن العربي ، القاضي أبوبكر . العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة ، تحقيق محب الدين الخطيب (القاهرة : المكتبة السلفية ، ١٣٧١هـ).
- ابن عساكر ، علي بن الحسن . تهذيب تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق عبدالقادر بدران (بيروت : دار النشر غير معروفة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- العسقلاني ، ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة : المطبعة الأزهرية ، ١٣٢٨هـ).
- العسكري ، أبو هلال . كتاب الأوائل ، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب (دمشق ، ١٩٧٥م).
- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم . عيون الأخبار ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
- _____ ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط ٢ (القاهرة : دار المعارف المصرية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م).
- _____ ، الشعر والشعراء ، تحقيق أم . ي . دي غوي ، (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٠٤م).
- ابن قدامه ، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد . المغني (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد . الجامع لأحكام القرآن (القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين . تفسير القرآن الكريم ، تحقيق لجنة من العلماء ، ط ٢ (بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- _____ ، البداية والنهاية في التاريخ (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٨١م).
- الكندي ، محمد بن يوسف . الولاء وكتاب القضاة ، تحقيق . غيست (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩١٢م).
- ابن ماجه ، محمد بن زيد بن عبدالله . سنن المصطفى ، ط ٢ (بيروت : دار الفكر ، د . ت .) .

- مالك ، أبو عبدالله مالك بن أنس. موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، ط ٢ (بيروت : دار النفائس ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .
- الماوردي ، علي بن محمد. الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٩٨هـ) .
- المباركفوري ، صفى الرحمن - الرحيق المختوم، ط ٢ (بيروت : دار القلم ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة ، مكان النشر والتاريخ بدون) .
- المقرئزي ، أحمد بن علي . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة : دار النشر غير معروفة ، ١٢٧٠هـ) .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد . لسان العرب، طبعة مصورة من مطبعة بولاق (القاهرة : دار مصر للتأليف والترجمة ، د . ت .) .
- المؤلف المجهول العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق أم . ي . دي غوي (لیدن : مطبعة بريل ، ١٨٧١م) .
- الواقدي ، محمد بن عمر. كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونسن، ط ٢ (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
- ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك . السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مكان وسنة النشر بدون) .
- اليافعي ، عبدالله بن سليمان . مرآة الجنان وعبرة اليقظان. تصوير بالأوفست عن طبعة القاهرة ، ١٣٣٧هـ (بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .
- ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله . معجم البلدان، (بيروت : دار صادر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ، ١٣٧٩هـ) .